نموذج الإجابة

الكلية: كلية الآداب

القسم: اللغة العربية

المادة: مدخل إلى النقد اللغوي (لائحة قديمة).

دور التخلفات: من الفرقة الثانية

أستاذ المادة: د. أحمد شحاتة علوانى ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية

تاريخ الامتحان:

==========

إجابة السؤال الأول:

في الأسواق نشأت المساجلات الشعرية، وأعلنت المحاكمات بين الشعراء. فكان الشعراء يتحاكمون فيما شجر بينهم. وفي سوق "عكاظ" ضُربت خيمة، لها قبة حمراء اللون ليعرفها الناس، وفيها جلس "النابغة الذبياني" حيث وفد الشعراء يحتكمون إليه.

كانت خيمة "النابغة الذبياني" أشبه ما تكون بالصالون الأدبي أو بالمؤتمر النقدي، فقد جاء إلى خيمته الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء ...

وفى هذا السياق يذكر "أبو الفرج الأصبهانى" في كتابه "الأغاني":

«أن نابغة بني ذبيان كان تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره وأنشدته الخنساء قولها:

(قذى بعينك أما بالعين عوار).

حتى انتهت إلى قولها:

(وإن صخرًا لتأتم الهداة به**كأنه علمٌ في رأسهِ نار).

فقال : لولا أن أبا بصيرٍ أنشدني قبلك لقلت : إنك أشعر الناس!

فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها .قال : حيث تقول ماذا؟ قال : حيث أقول:

لنا الجَفَناتُ الغرُّ يلمعْنَ في الضُّحىوأسيافُنا يقطرْنَ من نجدةٍ دَمَا**

ولدْنا بني العنقاءِ وابني محرِّقٍ فأكرمْ بنا خالاً وأكرمْ بنا ابنما**

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك.

وفي رواية أخرى:

فقال له: إنك قلت "الجفنات" فقللت العدد ولو قلت" الجفان" لكان أكثر . وقلت: " يلمعن في الضحى" ولو قلت: "يبرقن بالدجى" لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقًا. وقلت: "يقطرن من نجدة دمًا" فدللت على قلت القتل ولو قلت "يجرين " لكان أكثر لانصباب الدم . وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسرًا منقطعًا»

لقد انتقد النابغة شعر حسان بن ثابت السابق من جهتين، تتصل الجهة الأولى «بالصياغة واختيار مفرداته اللغوية؛ حيث قال: "الجفنات" وهو جمع يدل على القِلَّة، ومجال الفخرُ كان يقتضيه إظهار الكثرة، مبالغة في الكرم بأن يأتي بجمع التكسير: "الجفان"، كما عاب عليه قوله: "يلمَعْنَ بالضحى"، وأحسن منه أن يقول: "يَبْرقن بالدُّجى"؛ لأن الضيف بالليل أكثر طروقًا. وأيضًا قوله: "يقطرن من نجدة دمًا" لأنه يدل على قلة القتل» وكان حقه أن يقول: يجرين أو يسلن منجدة دمًا.

أما عن الجهة الثانية التي انتقد "النابغة" من أجلها قول "حسان" فهي تتصل «بالمعنى العام لسياق الفخر، حيث ترك "حسان" الفخر بآبائه، وافتخر بمن ولدَتْ نساؤه»

لقد وفد الشعراء إلى خيمة "النابغة" يحملون بضاعتهم وهي الشعر، يعرضون هذه البضاعة على "النابغة الذبياني"، يتنافسون، ينشدون، يحتكمون، إليه. وقد وقف "النابغة" موقف الحكم أو القاضي الذي يفصل في الخصومة ويحكم بينهم، ويجيبهم عن سؤال شغلهم هو: من أشعر الشعراء؟! أيهم الذي تفوق على منافسه، في اللفظ والمعنى؟ أيهم راق شعره، وحسن سبك ألفاظه، وجودة معانيه؟ والذي يتفوق على منافسه إنما يكمن في شعره مواصفات الجودة والتنقيح.

==========

إجابة السؤال الثاني:

ويدخل ضمن ممارسة النقد في العصر الجاهلي قصة "أم جُندب" زوج امرئ القيس، وترد القصة على النحو الآتي:

«كانت تحت امرئ القيس امرأة من طيء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمة الفحل بن عبدة التميمي، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله:

خليليَّ مُرَّا بِي على أُمِّ جُنْدَبِ** لنَقْضِيَ حاجاتِ الفُؤَادِ المعَذَّبِ

حتى مرّ بقوله:

فللسوطِ ألهوبٌ وللساقِ درَّةٌ**وللزجرِ منهُ وقعُ أخرجَ مهذبِ

فأنشدها علقمة قوله:

ذَهَبْتَ منَ الهجْرَانِ في كُلّ مَذْهَبِ** ولم يَكُ حَقّاً كُلُّ هذا التَّجَنُّبِ

حتى انتهى إلى قوله:

فأَدْرَكَهُنَّ ثانيًا من عِنانِهِ ** يَمُرُّ كمَرِّ الرائِحِ المتَحَلِّبِ

فقالت له: علقمة أشعر منك.

قال: وكيف؟

قالت: لأنك زجرت فرسك، وحركته بساقك، وضربته بسوطك. وإنه جاء هذا الصيد، ثم أدركه ثانيًا من عنانه. فغضب امرؤ القيس وقال: ليس كما قلت، ولكنك هويته، فطلقها، فتزوجها علقمة بعد ذلك، وبهذا لقب علقمة الفحل

ومن الواضح في النص السابق أن "أم جندب" رجحت كِفة "علقمة" على كِفة "امرئ القيس" فحكمت لـ "علقمة" بأنه الأشعر، وبنت هذا الحكم من خلال بيت شعري واحد، يتركز حول طريقة وصف الفرس لدى كل منهما، فـ "علقمة" لم يُجهد أو يتعب فرسه، بل ثنى عنانه فأدرك غايته ثم وصف سرعة الفرس بمرور السحاب المتتابع.

أما "امرؤ القيس" فقد ألهب فرسه ضربًا بالسوط، كما حرك ساقيه، وأخيرًا زجره بالصياح العالي. وما نريد إيضاحه هنا أن حكم "أم جندب" بـ شاعرية "علقمة" التي تفوق شاعرية "امرئ القيس" وهو حكم كلي جاء من خلال بيت جزئي واحد ورد ضمن القصيدة، ولم يصدر

الحكم بناء على النظر فى شعر الشاعرين بشكل كلى، ولا حتى بتحليل وتفنيد القصيدة بأكملها، ولعل هذا ما دفع "امرؤ القيس" إلى الغضب بل واتهام زوجه بأنها أحبت "علقمة" ولذا حكمت له، وجارت على زوجها. وفى هذا السياق يذكر د.محمد كريم:

«يبدو الهوى واضحًا في حكم أم جندب بتفضيل قصيدة علقمة على قصيدة امرئ القيس، فقد أخبر المخبرون عن الشعراء أن امرأ القيس كان رجلاً غير محبب إلى النساء، فكنَّ يتحملن عشرته كارهات. وتلك الكراهية كانت عاملاً نفسيًا له أثره في هذا الرأي الذي أبدته أم جندب، ولم تصدر فيه عن علة معقولة، أو نظرة عميقة في قصيدتي الشاعرين، ولم يستوعب رأيهما ما في القصيدتين كاملتين من الصور الكثيرة والمعاني المتعددة، ولم تراعِ فضل السابق على المتأخر.

ولقد قرأ امرؤ القيس هذا الهوى في عيني أم جندب، فسألها عن سر تفضيلها شعر علقمة على شعره، فحاولت أن تلتمس العلة الموضوعية التي تسوغ بها رأيها، فلم تجد هذه العلة بعد الجهد إلا في بيت رأت فيه أن امرأ القيس زجر، وحرَّك ساقيه، وضرب بسوطه، وبذلك أدرك ما أراد، وأن فرس علقمة أدرك غايته ثانيًا من عنانه. وقد يكون ما ذهبت إليه أم جندب مقبولاً، لو أن امرأ القيس كان يعنى أن حصانه لا يسير إلا بتحريك الساقين والزجر والضرب بالسوط، ولكن الحقيقة أن تحريك الساقين، واستعمال السوط لازمتان من لوازم كل فارس مهما يكن فرسه.

وليس في بيت امرئ القيس ما يدل على بلادة جواده، فإن معنى بيته أنه إذا مسه ألهبه الجري أي جرى جريًا شديدًا كالتهاب النار، وإذا مسه بسوط درَّ بالجري كما يدرُّ السيل والمطر، وإذا زجره بلسانه وضع الزجر منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل له»

==========

إجابة السؤال الثالث:

موقف الإسلام من الشعر والشعراء..

عرض **"ابن رشيق"** في كتابه العمدة، لموقف الإسلام من الشعر، فبدأ كتابه بفصل عن "فضل الشعر"، ثم تحدث في فصل لاحق يرد فيه على من يكره الشعر، ويبدأ في رده بتوثيق دفاعه بما ورد عن النبي ﷺ فتقرأ:

«روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إنما الشعرُ كلامٌ مؤلفٌ فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"، وقد قال عليه الصلاة والسلام" :إنما الشعر كلامٌ، فمن الكلام خبيث وطيب"، وقالت عائشة رضي الله عنها : الشعر فيه كلام حسن وقبيح، فخذ الحسن واترك القبيح، ويروي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبرًا ينشد عليه الشعر، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه، وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه :الشعر ميزان القول، ورواه بعضهم :الشعر ميزان القوم.

وروى ابن عائشة يرفعه قال : قال رسول الله صلى الله علية وسلم" : الشعر كلام من كلام العرب جزل، تتكلم به في بواديها، وتسلُّ به الضغائنَ من بينها".

واضحٌ فى النص السابق أن "ابن رشيق" يورد أحاديثًا دالة، وأقوالاً مأثورة عن الصحابة، يرد بها على من كره الشعر، وتأتى هذه الأقوال .كما لاحظنا . بمثابة الشواهد الدالة على فضل الشعر.

ولم يقتصر "ابن رشيق" على عرض الروايات والأقوال المأثورة، بل دعم كلامه بالمشاهد والمواقف الواقعية، التي يستدل بها على تقدير الصحابة والخلفاء الراشدين للشعر والشعراء، فيقول:

«ويروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت :مر الزبير بن العوام رضي الله عنه بمجلس لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وحسان ينشدهم، وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره، فقال: مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن القُريعة؟ لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه، ويجزل عليه ثوابه، ولا يشتغل عنه إذا أنشده.

ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال :أرغاء كرغاء البكر؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر، فو الله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغير علي ذلك، فقال عمر :صدقت.

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : مر من قبلك بتعلم الشعر؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب.

وقال معاوية رحمه الله : يجب على الرجل تأديب ولده، والشعر أعلى مراتب الأدب

ويروى أن أعرابيًا وقف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك، فقال له علي :خط حاجتك في الأرض، فإني أرى الضر عليك، فكتب الأعرابي على الأرض إني فقير فقال له علي : يا قنبر؛ ادفع إليه حلتي الفلانية، فلما أخذها مثل بين يديه فقال:

كسوتني حُلَّةً تبلَى محاسنُها ** فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

إن الثناءَ ليحيِي ذِكرَ صاحبِهِ **كالغيثِ يُحيي نداه السهلَ والجبلاَ

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به ** فكلُّ عبدٍ سيُجزَى بالذي فعلاَ

فقال علي : يا قنبر، أعطه خمسين دينارًا، أما الحلة فلمسألتك، وأما الدنانير فلأدبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " : أنزلوا الناس منازلهم".

إذن كان الشعر بالنسبة للعرب مصدر تأديب لابنائهم، وكان إذا استشكل عليهم شيئًا من القرآن فلم يفهموه طلبوه فى الشعر، كما شجعوا على رواية الشعر، يقول "الزبير بن بكار" «سمعتُ "العمرى" يقول: رَوُّوا أولادكم الشعر؛ فإنه يَحُلُّ عُقْدَةَ اللسان، ويشجع قلب الجبان، ويُطلق يد البخيل، ويحضُ على الخُلُق الجميل

نقد الرسول ﷺ للشعر وموقفه من الشعراء

من المعروف أن الشعراء في العصر الجاهلي وقبل انتشار الإسلام كانوا يعتدّون بأنفسهم، فيفخرون بحسبهم ونسبهم وآبائهم وأجدادهم وقبائلهم... إلخ. ولكن بعد ظهور الإسلام ودخولهم فيه وتعرفهم على المبادئ التي أرساها النبي ﷺ وقد نهاهم عن العصبية والقبلية ودعاهم إلى الإخوة في الإسلام، فهنا لم يعد مجالاً للفخر بالعصبية القبلية، بل صار الفخر بالدعوة الإسلامية والتحرر من الكفر والوثنية.

لم تقتصر حرب قريش والكفار للرسول والمسلمين على الضرب بالسيف أو الرمي بالنبل والرماح والسهام، بل وصلت إلى الهجاء باللسان أو الحرب بالكلام. فقد جند الكفار الشعراء من أجل هجاء الرسول ﷺ والمسلمين ودس الافتراءات والأباطيل، والتسفيه من شأن الدين الجديد.

ومن هنا استعان الرسول ﷺ بالشعر والشعراء لنصرة الدعوة الإسلامية، ومواجهة أعداء الإسلام من الكفار والمعاندين، في ميدان المعارك الكلامية والمعارضات والنقائض الشعرية، كما واجههم في ميدان المعارك الحربية.

وكان يرى النبي ﷺ أن قول الشعر للذود عن الدين يعادل الجهاد بالسيف في سبيل رفعة الإسلام، ولقد أكد ﷺ على أن وقع الهجاء على الكفار أشد من وقع النبل(

وفيما يلي سنورد نصًا مطولاً من كتاب "الأغاني"، يؤكد على استعانة النبي ﷺ بالشعراء ولا سيما "حسان بن ثابت"، يقول "أبو الفرج الأصبهانى":

«أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: فضل حسّان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهليّة، وشاعر النبيّ صلى الله عليه وسلم في النبوّة، وشاعر اليمن كلّها في الإسلام.

أجمعت العرب على أنه أشعر أهل المدر، قال أبو عبيدة: وأجمعت العرب على أنّ حسّان أشعر أهل المدر. أخبرنا بذلك أيضًا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن أبي عبيدة قال: اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس ثم ثقيفٌ؛ وعلى أنّ أشعر أهل يثرب حسّان بن ثابت ... جاء حسّان إلى نفرٍ فيهم "أبوهريرة"، فقال: أنشدك الله (استحلفك بالله): أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أجب عنّي" ثم قال: "اللّهمّ أيّده بروح القدس"؟ قال أبو هريرة: اللّهمّ نعم.

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا وهب بن جرير قال حدّثنا أبي قال سمعت محمد بن سيرين، قال أبو زيد وحدّثنا هوذة بن خليفة قال حدّثنا عوف بن محمد بن سيرين قال:

كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رهطٍ من قريش: عبد الله بن الزّبعري، وأبو سفّيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وعمرو بن العاصي؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: اهج عنّا القوم الذين قد هجونا. فقال عليٌّ رضي الله عنه: إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت. فقال رجلٌ: يا رسول الله، ائذن لعليّ كي يهجو عنّا هؤلاء القوم الذين قد هجونا. قال "ليس هناك" أو "ليس عنده ذلك"؛ ثم قال للأنصار: " ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ ". فقال حسّان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه. فقال: "كيف تهجوهم وأنا منهم"؟ فقال: إنّي أسلّك منهم كما تسلّ الشّعرة من العجين.

قال: فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. فكان حسّان وكعبٌ يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويعيّرانهم بالمثالب، وكان عبد الله بن رواحة يعيّرهم بالكفر. قال: فكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة. فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام، كان أشدّ القول عليهم قول ابن رواحة.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عبد الله بن بكر بن حبيب السّهميّ قال حدّثنا أبو يونس القشيريّ وهو حاتم بن أبي صغيرة قال حدّثنا سماك بن حرب قال: قام حسّان أبو الحسام فقال: يا رسول الله، ائذن لي فيه، وأخرج لساناً له أسود، فقال: يا رسول الله، لو شئت لفريت به المزاد، ائذن لي فيه. فقال: "اذهب إلى أبي بكر فليحدّثك حديث القوم وأيّامهم وأحسابهم ثم أهجهم وجبريل معك" ... فأتى أبا بكر فأعلمه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: كفّ عن فلانة واذكر فلانة. فقال:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنهُ ** وعند اللهِ في ذاكَ الجزاءُ

فإنّ أبي ووالدهُ وعرضي ** لعرض محمدٍ منكمُ وقاءُ

أتهجوهُ ولستَ له بكفءٍ ** فشرّكما لخيركما الفداءُ

لما بلغ قريشًا شعره اتهموا أبا بكر أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال: لما أنشدت قريشٌ شعر حسّان قالت: إنّ هذا الشّتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة. قال الزّبير: وحدّثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مجمّع عن رجلٍ من بني العجلان قال: لما بلغ أهل مكة شعر حسّان ولم يكونوا علموا أنّه قوله، جعلوا يقولون: لقد قال أبو بكر الشّعر بعدنا»

من خلال النص السابق يمكن الوقوف على مجموعة من الحقائق: ففي بداية ظهور الإسلام وانتشاره، ثم هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، شنت قريش حربًا شعرية بالقصائد والكلمات لم تقل ضراوة وشراسة عن الحرب بالسيوف والأسلحة، واشتد هجاء شعراء الكفار وخاصة: (عبد الله بن الزّبعري، وأبو سفّيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وعمرو بن العاصي) على الرسول ﷺ ، وكان على بن أبى طالب يقول الشعر فطلب منه القوم أن يرد عن الرسول ﷺ ولكن الرسول رأى أن عليًا لا يجيد ذلك، لأن هذه الحرب تحتاج إلى شاعر مجيد، وهنا طلب من شعراء الأنصار أن ينصروه بألسنتهم كما سبق وأن نصروه بأسلحتهم، فلبى طلبه: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وكانت "حسان" أشعر أهل يثرب، فشعره أجود، ووقعه على لكفار أوجع من شعر صاحبيه، يقول "الأصبهانى": «بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى ... وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت الشاعر إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما كافحت عن الله عز وجل وعن رسول الله ﷺ »

«وقال حسان بن ثابت يهجو أبا سفيان هجاءً مرًا، ذكره فيه باسمه، وأشار إلى تعرضه بالهجاء للرسول:

ألا أبلغْ أبا سفيان عنى ** فأنتَ مُجوَّف نخِبٌ هواءُ

بأن سُيوفنا تركتْك عبدًا ** وعبدُ الدارِ سادَتُها الإماءُ

هجوتَ محمدًا فأجبت عنه ** وعند الله فى ذاك الجزَاءُ

فإن أبى ووالده وعِرضى ** لِعَرضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

اتهجوهُ ولست له بكُفءٍ ** فَشُرُّكما لخيركما الفِداء

هجوتَ مباركًا برًا حنيفًا ** أمينَ الله شيعتُهُ الوفاءُ

فمن يهجو رسول الله منكم ** ويَمدَحُه وينصرُه سَواءُ؟!»

ولقد دافع "حسان بن ثابت" عن الرسول ﷺ حيث قال له: "اهجهم وجبريل معك"، ولذا لُقب بـ (شاعر الرسول).

وله شعر كثير في مدح الرسول ﷺ ومنه هذه الأبيات البليغة :

وأحسن منك لم تَرَ قطُّ عيني * وأحسن منك لم تلد النساءُ**

خُلقتَ مبرءً من كلّ عيب * كأنّك قد خُلقتَ كما تشاءُ**

ويقول حسان: في وصف الرسول ﷺ والرسالة الجديدة:

نبيٌ أتانا بعد يأس وفترة * من الرسل والأوثان في الأرض تُعبدُ**

فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً * يلوح كما لاح الصقيل المهنّدُ**

إذن كان النبي ﷺ يسمع الشعر ويستحسنه ويقبله، بل ويكافئ عليه، فهذا "كعب بن زهير" يأتي إلى النبي ﷺ مسلمًا، تائبًا، معتذرًا، طالبًا الأمان، وينشد في بين يدي النبي ﷺ قصيدته الشهيرة :

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبول متيم عندها لم يفد مكبول

وعندما ينتهي من إنشادها، يخلع النبي ﷺ بردته الشريفة ويهبها لـ "كعب"، ولذا سميت القصيدة بـ "البردة"، وترد قصتها في كتاب "الأغاني" على النحو الآتي :

«قال: ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مجلسه من أصحابه مكان المائدة من القوم حلقة ثم حلقة ثم حلقة، وهو وسطهم، فيقبل على هؤلاء يحدثهم، ثم على هؤلاء، ثم على هؤلاء، فأقبل كعب حتى دخل المسجد فتخطى حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، الأمان. قال: ومن أنت؟ قال: كعب بن زهير. قال: أنت الذي يقول... كيف قال يا أبا بكر؟ فأنشده حتى بلغ إلى قوله :

سقاك أبو بكر بكأس روية وأن هلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مأمون والله. ثم أنشده – يعني كعباً –:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

قال عمر بن شبة: فحدثني الحزامي، قال: حدثني محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجعد، قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي، قال: حدثنا محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة، قال: أنشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده، فلما بلغ إلى قوله :

إن الرسول لسيف يستضاء به ** مهند من سيوف الله مسلول

في فتية من قريش قال قائلهم ** ببطن مكة لما أسلموا: زولوا

أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير»

ولقد تم توظيف الشعر للاستنجاد بالنبي (ص) فيروى "ابن هشام" فى السيرة عن عمرو بن سالم أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنجد به ويستنصره على قريش، وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدها إياه:

«يا ربّ إنى ناشدٌ محمدًا ** حِلْفَ أبِينَا وأبيه الأتلدا

قد كنتم ولدًا وكنا والدًا ** ثُمَّتَ أسلمنا فلم نَنْزِعْ يَدا

فانصرْ رسولُ الله نصرًا أبدا ** وادعُ عبادَ الله يأتوا مَدَدا

فيهم رسولُ الله قد تجرَّدا ** إن سِيمَ خَسْفًا وجههُ تَرَبَّدا

إنّ قريشًا أخْلَفوك المَوعدا ** ونقضوا ميثاقَك المؤَكَّدا

وزعموا أنْ لستُ أدْعو أحَدا ** فهم أذلُّ وأقلُّ عددا

هُمْ بيَّتونا بالوتيرِ هُجّدا ** وقتلونا رُكّعًا وسُجّدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نصرت يا عمرو بن سالم " فما برح حتى مرت بنا عنانة، في السماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب "»

ومن أدلة تقدير النبى (ص) للشعر، واحتفائه بالشعراء، «**ما روته عائشة رضى الله عنها من أنه (ص) بنى لحسان بن ثابت فى المسجد منبرًا ينشد عليه الشعر. وأنه حين دخل مكة معتمرًا (عمرة القضاء ٧ هـ)، قدم بين يديه عبدالله بن رواحة، فأخذ بخطام ناقته، مرتجزًا بأبيات منها:**

خَلُّوا بنى الكفار عن سبيله * خَلُّوا فكلُّ الخيرِ مع رسولِهِ

يا ربّ إنى مؤمنٌ بِقيلِهِ * أعْرِفُ حقَّ الله فى قُبولِهِ »

يقول د.محمد كريم: «وما كان للنبي، وهو القائل: (**إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمة**) أن يدعو إلى تعطيل ملكة من الملكات الفنية التي اشتهر بها قومه، ويقضى على الفن الذي نبغ فيه العرب، وقد عرف عمق أثره في نفوسهم، كما عرف أثره في نفسه، وفى نشر دعوته، ولكن غاية ما يُقال في هذا الشأن أن النبي. صلى الله عليه وسلم. عمل على توجيه تلك الملكة توجيهًا جديدًا، يبعد بها عن جاهليتها وضلالها القديم ويحول بينها وبين العبث والإسراف والمجون، ويدعوها إلى المجد النافع والقصد القويم

==========

إجابة السؤال الرابع:

النقد اللغوى فى العصر الأموى

تطورت الحياة الاجتماعية في عصر الأمويين، فقد اتسعت رقعة الخلافة الإسلامية، بسبب كثرة الفتوحات وما أدت إليه من تدفق للثروات والأموال، وامتزاج العرب بغيرهم من الموالى والعناصر الأجنبية، وكان طبيعيًا أن يتطور الشعر بتطور الحياة وما أصابها من مؤثرات جديدة، حيث شاعت ألوان من الترفيه كالغناء والموسيقى، كما طغى الغزل الصريح على الغزل العفيف، وكان لشيوع هذين الضربين من الغزل أثره الواضح على الحركة النقدية، فظهر لنا شعر "عمر بن أبى ربيعة" وفى المقابل شعر "كُثيِّر عزه"، وقد بين أصحاب الغزل الصريح وأصحاب الغزل العفيف مناظرات ومساجلات نقدية، حتى أن رجال الدين شاركوا في ذلك: «فسعيد بن المسيب يسأل نوفل بن مُساحق: من أشعر: أعبيد بن قيس الرقيات أم عمر بن أبى ربيعة؟ ويسأل غيره هل جميل الشاعر البدوي العفيف أشعر أو ابن أبى ربيعة شاعر مكة الحضري؟ ويختلف الجواب باختلاف الذوق»

وكان الشعراء يلتقون، وينشدون شعرهم فى مجالس الخلفاء، وفى نوادي الأدب، وفى المساجد يتبادلون الملاحظات النقدية، ويدخلون فى سجلات، كلٌ يطرح حججه، يريد أن ينتصر على خصمه فى هذه المعارك الأدبية «ومن طريف ما يُرْوَى من ذلك أن كُثيِّرًا وهو من أصحاب الغزل العفيف ومن بدو الحجاز اجتمع بابن أبى ربيعة والأحوص ونُصيب، وهم من أصحاب الغزل المادى الصريح، فدار الحديث بينهم وتجادلوا فى أشعارهم وتماروا فى أيهم أشعر، فتعرض لهم كُثيِّر وأخذ يعيب أشعارهم، وكان مما قاله لعمر بن أبى ربيعة: "أنت تنعت المرأة فتشبب بها، ثم تدعها وتشبب بنفسك، أخبرنى يا هذا عن قولك:

قالت تصدى له ليعرفنا ** ثم اغمزيه يا أختُ فى خفرِ

قالت لها قد غمزته فأبى ** ثم اسبطَرَّت تشتدُّ فى أثرِ

وقولها والدموع تسبقها: ** لنفسدن الطواف فى عمرِ

أتراك لو وصفت بهذا حُرّة أهلك ألم تكن قد قبحت وأسأت وقلت الهجر، وإنما توصف الحرة بالحياء والإباء والالتواء والخجل والامتناع"

ويمضى الخبر فيذكر أن "ابن أبى ربيعة" وصاحبيه عابوا شعره عيبًا بعيب، وكان مما قاله له عمر:

"أخبرني عن تخيرك لنفسك وتخيرك لمن تحب حيث تقول:

ألا ليتنا يا عزُّ كنا لذى غِنىً ** بعيرين نرعى فى الخلاء ونعزبُ

كلانا به عُرّ فمن يرنا يَقُلْ ** على حُسْنها جرباء تُعدى وأجربُ.

إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله ** علينا فما ننفك نُرْمَى ونضربُ.

تمنيتَ لها ولنفسك الرق والجرب والرمي والطرد والمسخ، فأىُّ مكروه لم تتمن لها ولنفسك؟ لقد أصابها منك قول القائل: معاداةُ عاقل خيرٌ من مودة أحمقِ"»

يمكن النظر إلى النقد القائم بين الشاعرين: (عمر بن أبى ربيعة وكثيِّر عزه) بأنه نقدٌ قائم بين ذوقين ومذهبين أكثر من كونه نقدًا بين شاعرين، بمعنى أن "كثيِّر عزه" يمثل الذوق البدوي القديم الذي لا يقبل غزلاً صريحًا فيه امتهان للأنثى التي صانها العربى فى خباء، كما وصفها بالتمنع والحياء، في حين أن "عمر بن أبى ربيعة" يمثل الذوق الحضرى الجديد الذى ينفر من صورة غزلية بين محبين بها جرب ونفور وطرد.

الخليفة الأموي: عبد الملك بن مروان .. ناقدًا للشعر:

ذكر أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين أن: «ابن قيس الرقيّات مدح عبد الملك بن مروان فقال:

يأتلقُ التّاجُ فوقَ مفرقِهِ ** على جبينٍ كأنَّهُ الذَّهبُ

فغضب عبد الملك، وقال: قد قلت في مصعب:

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللَّهِ ** تجلَّتْ عن وجههِ الظّلماءُ

فأعطيته المدح بكشفِ الغمم، وجلاء الظّلم، وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه، وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذّهب في النضارة»

وواضحٌ فى النص السابق أن عبدالملك بن مروان يلفت انتباه الشاعر إلى أن المدح وخاصة للملوك لا يكون بذكر الصفات الجسدية كالحسن ونضارة الجبين لأنها أوصاف جسمية يشترك فيها كثيرون، ولكن يكون المدح بالصفات النفسية، فالممدوح مثل الخليفة ومن على شاكلته من ملوك وأمراء إنما يتطلعون إلى المدح بالصفات المعنوية مثل: الشجاعة وعلو المكانة والرفعة والملك والحكمة والسماحة والجود والعطاء وغيرها من مكارم الأخلاق ... وهى فضائل أخلاقية سامية.

ودخل "ذو الرُّمة" على عبدالملك بن مروان فاستنشده شيئًا من شعره، فأنشده:

«ما بالُ عَيْنَيْكَ مِنْها الماءُ يَنْسْكِبُ

وكانت عين عبدالملك تدمع أبدًا، فتوهَّم أنه خاطبه أو عرَّض به، فقال: وما سؤالك عن هذا، يا جاهلُ؟ وأمر بإخراجه. وكذلك فعل أبنه هشام بأبى النجم، وقد أنشده:

والشّمْسُ قَدْ كادَتْ، ولما تَفْعَلِ

** كَأَنها فى الأفقِ عَينُ الأحوَلِ

وكان هشام أحول فأمر به فحُجب عنه»

ولما سمع عبدالملك بن مروان قول "جرير" فى هجاء "الأخطل":

هذا ابن عمى في دمشق خليفةٌ ** لو شئتُ ساقكمُ إلىّ قطينا

قال عبدالملك: ما زاد جرير على أن جعلنى شُرطيًّا، أما إنه لو قال: "لو شاء ساقكم إلىّ قطينا" لسقتهم إليه كما قال.

واضح أن نقد الخليفة لبيت "جرير" السابق هو نقد دقيق، يعكس الفكر النقدى، فالشاعر لم يوظف صيغة خطابية تتناسب مع مقام الخليفة وسلطته، حيث جعل الشاعر المشيئة والأمر بيده، لا بيد الخليفة الذى صار يتلقى أمر الشاعر وينفذ مشيئته.

أطيب المنى

د. أحمد شحاتة علوانى

كلية الآداب . قسم اللغة العربية